إِذَا ذُكِرَ الصَّالِحُونَ فَحَيَّهَلاً بِعُمَرَ

تأليف

إبراهيم بن عبد الرحمن الدميجي

غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين



مُقَدِّمَة

الحمد لله الولي الحميد، جعلنا من خير أمة أخرجت للناس، خيرُ الخلقِ نبيُّها، وخيرُ الأصحابِ أصحابُه، لا كان ولا يكون مثلهم، صفوة الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي أفضل الأمم وأكرمها على الله عز وجل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، أما بعد:

فلا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل، ومن أفضل خلق الله بعد الأنبياء والمرسلين أبو حفص عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقد فعل.

فمن يجاري أبا حفص وسيرته

أو من يحاول للفاروق تشبيهًا

وإذا جرد ابن تيمية قلمه للكتابة عن عمر؛ علمنا أن

نوعًا راقيًا من الكتابة يُشيّد، ونظمًا بديعًا من المعاني ينثر، فإذا انضم لذلك غضبة سُنّيّة حنيفية دفاعًا عن أمير المؤمنين، الذي فرّق الله به بين الحق والباطل؛ أيقنّا بجزالة الكلم، وفخامة المعاني، وصدق العاطفة ونصاعة البراهين، وقوّة الأسلوب، فلله أبوه! ورحم الله امرأة درّت عليه وحَنَت! وحُقَّ لنا إن ظهر حرفُه مع أقرانه أن نقول: طلع الصباح فأطفئ القنديلا..

حي المنازل إذ لا نبتغي بدلًا ... بالدار دارًا ولا الجيران جيرانًا
يا أيها الراكب المُزجي مطيّته ... بلّغ تحيتنا لُقّيت حملانا
بلغ رسائل عنا خفّ محملها ... على قلائص لم يحملن حيرانا
أحبب إلي بذاك الجزع منزلة ... بالطلح طلحًا وبالأعطان أعطانا
أبُدّلَ الليل لا تسري كواكبه ... أم طال حتى حسبت النجم حيرانا
لمّا تبيّنتُ أن قد حيل دونهمُ ... ظلّت عساكرُ مثل الموت تغشانا
أتبعتهم مقلةً إنسانها غَرِقٌ ... هل ما ترى تارك للعين إنسانا
يا حبّذا جبل الريّان من جبل ... وحبّذا ساكن الريّان من كانا
وحبّذا نفحات من يمانيةٍ ... تأتيك من قِبَلِ الرّيان أحيانا

فرضي الله عن الفاروق، ورحم ابن تيمية، وجزاهما عن الإسلام خير ما جزى المصلحين والمجاهدين. ومن ذلك أن أحد رؤوس الرافضة، ويقال له ابن المطهّر الحلّي، ألّف كتابًا في ذم السنة وأهلها، وملأه بالدجل الفاحش، والكذب الممجوج، وسوء الأدب مع أفضل قرون الأمة، وموّه ببعض الأغاليط، حتى راج على أشباه الأنعام، من الرافضة الذين دندنوا ببعض قرمطته وسفسطته عند أهل الحق، فرغبوا للجبل الأشم، والبحر الخضم؛ شيخ الإسلام ابن تيمية؛ أن يهتك شُبَهَ شبيهِ الدَّجال الرافضي، فانبرى رَحِمَهُ اللَّهُ وأعلى نزله وجمعنا به ووالدينا ووالديه في عليين، فسطّر كتابه الباهر (منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية) فنقض شبه الرافضي شرعًا وعقلًا، فأعلى الله به السنة، وقمع به البدعة، وأطار به وساوس الرافضة، كما أطار عمر وساوس المفتونين إبّان حياته، بالعلم والحجة والبرهان، وبالسيف والدِّرَّةِ والسنان، تلك المكارم لا قعبان من لبن..كأنما عناهما أبو تمام إذ قال:

فما هو إلا الوحيُ أو حدُّ مُرهفٍ   تميل ظباهُ أخدعي كلَّ ماثلِ
فهذا دواء الداء من كل عالم   وهذا دواء الداء من كل جاهلِ

وقد حققه الدكتور محمد رشاد سالم في تسعة مجلدات، وقد لخص مهماته الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه المنتقى.

وفي هذا المقام سأورد بعض ما سطّره الإمام عن أمير المؤمنين عمر في ذلك السفر النفيس، على سبيل الاختصار والاقتصار عليه دون غيره، فكل الصيد في جوف الفَرَا، وإن كان لم ينو الاستيعاب، وعلى بعضه لا كلّه فلم يقصد محبُّه كذلك الاستيعاب، مع شيء من التصرف، ثم أردفته بفصل خاص عن أولئك الرافضة والباطنية إذ هم من ألد أعداء الحق على الدوام، ولعداوتهم لعمر خصوصيّة، إذ جيوشه من فلّت عروشهم المجوسية وسحقت أوثانهم الزرادشتية، وتركت مفخرتهم الأرضيّة كأمس الدابر.

❁❁❁❁❁

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

كلّ ما هنا إنما هو من المنهاج باختصار واقتصار خلا ما بين الجمل الاعتراضية الشارحة فمن عندي، وكذلك العناوين، قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى:

١- مناقبه:

مناقب عمر باب طويل، قد صنَّف الناس فيه مجلدات مثل كتاب أبي الفرج بن الجوزي، وعمر بن شبه، وغيرهما، غير ما ذكره الإمام أحمد بن حنبل وغيره من أئمة العلم، مثل ما صنفه خيثمة بن سليمان في فضائل الصحابة، والدارقطني والبيهقي، وغيرهم.

٢- إجابةُ الله عز وجلّ دعائه:

من إجابة الله لدعوته؛ أنه دعا على أناس لما عارضوه في قسمة الأرض، فقال: اللّهم اكفني فلانًا وذويه، فما حال الحول وفيهم عين تطرف.

٣- خوفه من الله تبارك وتعالى:

أما خوف عمر من الله تعالى، ففي صحيح البخاري،

عن المسور بن مخرمة قال: لما طعن عمر، جعل يألم، فقال ابن عباس وكأنه يجزعه ـ أي يزيل جزعه ـ: يا أمير المؤمنين! ولئن كان ذلك، لقد صحبت رسول الله ﷺ فأحسنت صحبته، ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته، ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت المسلمين فأحسنت صحبتهم، ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون. فقال: أما ما ذكرت من صُحبةِ رسول الله ﷺ ورضاه؛ فإنما ذاك مِنَ الله مَنَّ به عليّ. وأما ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه؛ فإنما ذاك من الله منّ به عليّ. وأما ما ترى من جزعي فهو من أجلك وأجل أصحابك، والله لو أن لي طلاع الأرض ذهبًا؛ لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه.

وفي صحيح البخاري عن عمرو بن ميمون في حديث قتل عمر، قال: يا ابن عباس: انظر من قتلني. فجال ساعة ثم جاء، فقال: غلام المغيرة. قال: الصنع؟ قال: نعم. قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفًا، الحمد لله الذي لم يجعل

قتلي بيد رجل يدعي الإسلام ـ فقتيل الكافر أعظم درجة من قتيل المسلمين ـ قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة، وكان العباس أكثرهم رقيقًا، فقال: إن شئت فعلت ـ أي: إن شئت قتلنا ـ قال: كذبت ـ أي: أخطأت ـ بعد ما تعلموا بلسانكم، وصلوا قبلتكم، وحجوا حجكم. فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه، وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقائل يقول: لا بأس، وقائل يقول: أخاف عليه، فأُتي بنبيذ فشربه، فخرج من جوفه، ثم أتى بلبن فشربه فخرج من جرحه، فعلموا أنه ميت، فدخلنا عليه، وجاء الناس يثنون عليه، وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك، من صحبة رسول الله ﷺ، وقدم في الإسلام ما قد علمت، ووليت فعدلت، ثم شهادة. قال: وددت أن ذلك كفافًا لا علي ولا لي. فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض. فقال: ردوا على الغلام. قال: يا ابن أخي! ارفع إزارك، فإنه أنقى لثوبك، وأتقى لربك. يا عبد الله بن عمر! انظر ما علي من الدين؟

فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفًا أو نحوه، قال: إن وفى له مال آل عمر فأدّ من أموالهم، وإلا فسل في بني عدي بن كعب، فإن لم تف أموالهم وإلا فسل في قريش، ولا تعدهم إلى غيرهم، فأدّ عني هذا المال، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل: أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميرًا، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه.

فسلّمَ واستأذن، ثم دخل عليها، فوجدها قاعدة تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه. فقالت: كنت أريده لنفسي ولأوثرنّه اليوم على نفسي. فلما أقبل، قيل: هذا عبد الله بن عمر وقد جاء، فقال: ارفعوني، فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين، أَذِنَتْ. قال الحمد لله، ما كان شيء أهمَّ من ذلك، فإذا أنا قضيت؛ فاحملوني، ثم سلِّمْ، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي؛ فأدخلوني، وإن ردتني؛ ردوني إلى مقابر المسلمين... وذكر تمام الحديث.

ففي نفس الحديث؛ أنه يعلم أن رسول الله ﷺ مات وهو عنه راض، ورعيته عنه راضون، مقرون بعدله فيهم. ولما مات كأنهم لم يصابوا بمصيبة قبل مصيبته لعظمها عندهم. وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذي تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**» ومعلوم أن شهادة الرعية لراعيها أعظم من شهادته هو لنفسه، وقد قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] وفي المسند عن النبي ﷺ أنه قال: «**يوشك أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار**» قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: «**بالثناء الحسن وبالثناء السيء**» ومعلوم أن رعية عمر انتشرت شرقًا وغربًا، وكانت رعية عمر خيرًا من رعية علي، وكانت رعية علي جزءًا من رعية عمر، ومع هذا فكلّهم يصفون عدله وزهده وسياسته، ويعظمونه، والأمة قرنًا بعد قرن تصف عدله وزهده وسياسته، ولا

يُعرف أن أحدًا طعن في ذلك. والرافضة لم تطعن في ذلك، بل لما غلت في علي؛ جعلت ذنب عمر كونه تولى! وجعلوا يطلبون له ما يتبين به ظلمه، فلم يمكنهم ذلك. ولم يقتل عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ رجل من المسلمين، لرضا المسلمين عنه، وإنما قتله كافر فارسي مجوسي.

وخشيته من الله لكمال علمه، فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

وأما علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فإن أهل السنة يحبونه ويتولونه ويشهدون بأنه من الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين. ويقولون: لم يظهر لعلي من العدل مع كثرة الرعية وانتشارها ما ظهر لعمر ولا قريب منه. وعمر لم يول أحدًا من أقاربه، ومع هذا يخاف أن يكون ظلمهم.

٤- علمه، وفضله، وإلهامه، وحسن سيرته:

قد ثبت من علم عمر وفضله ما لم يثبت لأحد غير أبي بكر، ففي صحيح مسلم عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا عن النبي

ﷺ، أنه كان يقول: **«قد كان في الأمم قبلكم مُحَدَّثُون، فإن يكن في أمتي أحد فعمر»** قال ابن وهب: تفسير محدثون: ملهمون.

وفي الصحيح عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: **«بينا أنا نائم، إذ رأيت قدحًا أُتيتُ به، فيه لبن، فشربت منه حتى أني لأرى الرّي يخرج من أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب»** قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: **«العلم»**.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«بينا أنا نائم، رأيت الناس يُعرضون عليّ، وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك، ومرّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يجرّه»** قالوا: ما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: **«الدين»**.

وفي الصحيحين عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال عمر: وافقت ربي في ثلاث؛ في مقام إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أسارى بدر.

وفي الصحيحين أنه لمّا مات عبد الله بن أبي بن سلول، دُعي له رسول الله ﷺ ليصلي عليه، قال عمر: فلما قام، دنوت إليه، فقلت: يا رسول الله! أتصلي عليه وهو منافق؟ فأنزل الله: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ [التوبة: ٨٤] وأنزل الله: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٨٠].

وقد روى من وجوه ثابتة عن مكحول عن غضيف عن أبي ذر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله جعل الحق على لسان عمر، يقول به**» وفي لفظ: «**جعل الحق على لسان عمر وقلبه**» أو «**قلبه ولسانه**» وهذا مروى من حديث ابن عمر وأبي هريرة.

وقد روى أحمد والترمذي وغيرهما قال أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن المقري حدثنا حيوة بن شريح حدثنا بكر بن عمرو المعافري عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر الجهني قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لو كان**

بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب» ورواه ابن وهب وغيره عن ابن لهيعة عن مشرح فهو ثابت عنه. وروى ابن بطة من حديث عقبة بن مالك الخطمى قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو كان غيري نبي لكان عمر بن الخطاب»** وفي لفظ: **«لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر»** وهذا اللفظ في الترمذي.

والعلماء يعرفون قدر علمه وفقهه. وهؤلاء أهل العلم الذين يبحثون الليل والنهار عن العلم، وليس لهم غرض مع أحد، بل يرجحون قول هذا الصاحب تارة وقول هذا الصاحب تارة بحسب ما يرونه من أدلة الشرع، كسعيد بن المسيب، وفقهاء المدينة، مثل عروة بن الزبير، والقاسم بن محمد، وعلي بن الحسين، وأبي بكر بن عبد الرحمن، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وسليمان بن يسار، وخارجة بن زيد، وسالم بن عبد الله بن عمر، وغير هؤلاء لا يحصي عددهم إلا الله من أصناف علماء المسلمين، كلهم خاضعون لعدل عمر وعلمه.

وأما التفاوت بين سيرة عمر وسيرة من ولي بعده، فأمر

قد عرفته العامة والخاصة، فإنها أعمال ظاهرة، وسيرة بينة، يظهر لعمر فيها من حسن النية وقصد العدل وعدم الغرض وقمع الهوى، مالا يظهر من غيره، ولهذا قال له النبي ﷺ: «**ما رآك الشيطان سالكًا فجًّا؛ إلا سلك فجًّا غير فجك**» لأن الشيطان إنما يستطيل على الإنسان بهواه وعمر قمع هواه. وقال: «**إن الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه**» ووافق ربَّهُ في غير واحدة نزل فيها القرآن بمثل ما قال. وقال ابن عمر: كنا نتحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر. وهذا لكمال نفسه بالعلم والعدل، قال الله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام: ١١٥] فالله تعالى بعث الرسل بالعلم والعدل، فكل من كان أتمّ علمًا وعدلًا؛ كان أقرب إلى ما جاءت به الرسل، وهذا كان في عمر أظهر منه في غيره، وهذا في العمل والعدل ظاهر لكل أحد، وأما العلم فيعرف برأيه وخبرته بمصالح المسلمين وما ينفعهم وما يضرهم في دينهم ودنياهم، ويعرف بمسائل النزاع التي له فيها قول ولغيره فيها قول، فإن

صواب عمر في مسائل النزاع وموافقته للنصوص أكثر من صواب عثمان وعلي، ولهذا كان أهل المدينة إلى قوله أميل، ومذهبهم أرجح مذاهب أهل الأمصار، فإنه لم يكن في مدائن الإسلام في القرون الثلاثة أهل مدينة أعلم بسنة رسول الله ﷺ منهم، وهم متفقون على تقديم قول عمر على علي، وأما الكوفيون؛ فالطبقة الأولى منهم أصحاب ابن مسعود يقدمون قول عمر على قول علي، وأولئك أفضل الكوفيين، حتى قضاته شريح وعَبِيدة السلماني وأمثالهما، كانوا يرجحون قول عمر وعلي على قوله وحده.

ورسالة عمر المشهورة في القضاء إلى أبى موسى الأشعري تداولها الفقهاء، وبنوا عليها واعتمدوا على ما فيها من الفقه وأصول الفقه.

٥- زهده، وورعه:

كان زاهدًا ورعًا في كل شأنه، ولم يكن له غرض في فَدَك ولا غيرها، فلم يأخذها لنفسه، ولا لأحد من أقاربه وأصدقائه، ولا كان له غرض في حرمان أهل بيت النبي

ﷺ، بل كان يقدّمهم في العطاء على جميع الناس، ويفضلهم في العطاء على جميع الناس، حتى إنه لما وضع الديوان للعطاء وكتب أسماء الناس، قالوا: نبدأ بك؟ قال: لا، ابدأوا بأقارب رسول الله ﷺ، وضعوا عمر حيث وضعه الله. فبدأ ببني هاشم، وضمّ إليهم بني المطلب، لأن النبي ﷺ قال: «**إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد، إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام**» فقدّم العباس وعليًّا والحسن والحسين، وفرض لهم أكثر مما فرض لنظرائهم من سائر القبائل، وفضّل أسامة بن زيد على ابنه عبد الله في العطاء، فغضب ابنه وقال: تفضل علي أسامة؟! قال: فإنه كان أحب إلى رسول الله منك، وكان أبوه أحب إلى رسول الله من أبيك. وهذا الذي ذكرناه من تقديمه بني هاشم وتفضيله لهم أمر مشهور عند جميع العلماء بالسير، لم يختلف فيه اثنان.

٦- عدله، وقوّته في الحق، ورحمته بالرعيّة:

كان عمر عادلًا وقّافًا عند كتاب الله تعالى. روى

البخاري عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: قدم عيينة بن حصن على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القرّاء أصحاب مجالس عمر كهولًا كانوا أو شبانًا، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي! لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه، فقال: سأستأذن لك عليه. قال ابن عباس: فاستأذن الحرّ لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هيه يا ابن الخطاب! فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتى همّ أن يوقع به، فقال له الحرّ: يا أمير المؤمنين! إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وإن هذا من الجاهلين، فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه. وكان عمر وقافًا عند كتاب الله.

وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من المتواتر عنه أنه كان لا تأخذه في الله لومة لائم، حتى إنه أقام على ابنه الحدّ لما شرب بمصر، بعد أن كان عمرو ابن العاص ضربه الحدّ، لكن كان ضربه سرًّا في البيت، وكان الناس يُضربون علانية، فبعث عمر

إلى عمرو يزجره ويتهدده لكونه حابي ابنه، ثم طلبه فضربه مرة ثانية، فقال له عبد الرحمن: ما لك هذا! فزجر عبد الرحمن. وأخبار عمر المتواترة في إقامة الحدود وأنه كان لا تأخذه في الله لومة لائم أكثر من أن تذكر.

وقد بلغ من علمه وعدله ورحمته بالذرية؛ أنه كان لا يفرض للصغير حتى يفطم، ويقول: يكفيه اللبن. فسمع امرأة تُكرهُ ابنها على الفطام؛ ليُفرض له. فأصبح فنادى في الناس: إن أمير المؤمنين يفرض للفطيم والرضيع. وتضرُّرَ الرضيع كان بإكراه أمه لا بفعله هو، لكن رأى أن يفرض للرضعاء ليمتنع الناس عن إيذائهم، فهذا من إحسانه إلى ذرية المسلمين.

وفي صحيح مسلم عن ابن أبي مليكة قال: سمعت عائشة وسُئلت: من كان رسول الله ﷺ مستخلفًا لو استخلف؟ قالت: أبو بكر، فقيل لها: ثم من بعد أبي بكر؟ قالت: عمر، قيل لها: ثم من بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة عامر بن الجراح، ثم انتهت إلى هذا.

ومن المعلوم للخاص والعام؛ أن عدل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ملأ الآفاق، وصار يضرب به المثل، كما قيل: سيرة العمرين، وأحدهما عمر بن الخطاب، والآخر قيل: إنه عمر بن عبد العزيز، وهو قول أحمد بن حنبل وغيره من أهل العلم والحديث، وقيل: هو أبو بكر، وهو قول أبي عبيدة وطائفة من أهل اللغة والنحو.

ويكفي الإنسان؛ أن الخوارج ـ الذين هم أشد الناس تعنتًا ـ راضون عن أبي بكر وعمر في سيرتهما، وكذلك الشيعة الأولى أصحاب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانوا يقدمون عليه أبا بكر وعمر، وروى ابن بطة ما ذكره الحسن بن عرفة: حدثني كثير بن مروان الفلسطيني عن أنس بن سفيان عن غالب بن عبد الله العقيلي قال: لما طعن عمر دخل عليه رجال منهم ابن عباس، وعمر يجود بنفسه، وهو يبكي، فقال له ابن عباس: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ فقال له عمر: أما والله ما أبكي جزعًا على الدنيا، ولا شوقًا إليها، ولكن أخاف هول المطلع! قال: فقال له ابن عباس: فلا

تبك يا أمير المؤمنين، فوالله لقد أسلمت؛ فكان إسلامك فتحًا، ولقد أُمّرت؛ فكانت إمارتك فتحًا، ولقد ملأت الأرض عدلًا، وما من رجلين من المسلمين يكون بينهما ما يكون بين المسلمين فتُذكر عندهما إلا رضيا بقولك، وقنعا به. قال: فقال عمر: أجلسوني. فلما جلس قال: أعد على كلامك يا ابن عباس. قال: نعم، فأعاده. فقال عمر: أتشهد لي بهذا عند الله يوم القيامة يا ابن عباس؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، أنا أشهد لك بهذا عند الله، وهذا علي يشهد لك، وعلي بن أبي طالب جالس، فقال علي بن أبي طالب: نعم يا أمير المؤمنين.

وعن عبد خير قال: رأيت عليًّا صلى العصر، فصف له أهل نجران صفين، فلما صلى أومأ رجل منهم إلى رجل فأخرج كتابًا فناوله إياه، فلما قرأه دمعت عيناه، ثم رفع رأسه إليهم فقال: يا أهل نجران، أو يا أصحابي، هذا والله خطّى بيدي، وإملاء عمر علي، فقالوا يا أمير المؤمنين: أعطنا ما فيه. فدنوت منه فقلت: إن كان رادًّا على عمر يومًا

فاليوم يرد عليه، فقال: لست رادًّا على عمر شيئا صنعه، إن عمر كان رشيد الأمر، وإن عمر أعطاكم خيرًا مما أخذ منكم، وأخذ منكم خيرًا مما أعطى. ولم يجر لعمر نفع مع أخذ لنفسه إنما أخذه لجماعة المسلمين.

٧- ثناء الأمّة عليه:

قد أعزّ الله به الإسلام، وبسط له الثناء على ألسن المؤمنين، وقد أفرد العلماء مناقب عمر، فإنه لا يُعرف في سير الناس كسيرته.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «**رأيت كأني أنزع على قليب بدلو، فأخذها ابن أبي قحافة فنزع ذنوبًا أو ذنوبين، وفي نزعة ضعف، والله يغفر له، ثم أخذها عمر بن الخطاب؛ فاستحالت في يده غربًا، فلم أر عبقريًّا من الناس يفرى فريه، حتى ضرب الناس بعطن**».

وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كان عمر أحوذيًّا، نسيج وحده، قد أعدّ للأمور أقرانها. وكانت تقول: زينوا مجالسكم بذكر عمر.

وروى الشعبي عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر.

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: ما رأيت عمر قط، إلا وأنا يُخَيَّلُ لي أن بين عينيه ملكًا يسدّده. وقال أيضًا: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر.

وقال أيضًا: إذا ذُكر الصالحون فحيهلًا بعمر، كان إسلامه نصرًا، وإمارته فتحًا. وقال أيضًا: كان عمر أعلمنا بكتاب الله، وأفقهنا في دين الله، وأعرفنا بالله، والله لهو أبين من طريق الساعين. يعنى أن هذا أمر بيّن يعرفه الناس.

وقال أيضًا: لو أن علم عمر وُضع في كفّة ميزان، ووضع علم أهل الأرض في كفة، لرجح عليهم.

وقال أيضًا لما مات عمر: إني لأحسب هذا قد ذهب بتسعة أعشار العلم، وإني لأحسب تسعة أعشار العلم ذهب مع عمر يوم أصيب.

وعن زيد بن وهب: أن رجلًا أقرأه معقل بن مقرن

آية، وأقرأها عمر بن الخطاب آخر، فسألا ابن مسعود عنها، فقال: لأحدهما: من أقرأكها؟ قال: معقل بن مقرن. وقال للآخر: من أقرأكها؟ قال: عمر بن الخطاب. فبكى ابن مسعود حتى كثرت دموعه، ثم قال: اقرأها كما أقرأكها عمر، فإنه كان أقرأنا لكتاب الله، وأعلمنا بدين الله. ثم قال: كان عمر حصنًا حصينًا على الإسلام، يُدْخَلُ في الإسلام ولا يُخْرَجُ منه، فلما ذهب عمر انثلم الحصن ثلمة لا يسدها أحد بعده، وكان إذا سلك طريقًا اتبعناه ووجدناه سهلًا، فإذا ذكر الصالحون فحيهلًا بعمر، فحيهلًا بعمر، فحيهلًا بعمر.

وقال حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان الإسلام في زمن عمر كالرجل المقبل، لا يزداد إلا قربًا، فلما قُتل؛ كان كالرجل المدبر، لا يزداد إلا بعدًا.

وقال مجاهد: إذا اختلف الناس في شيء؛ فانظروا ما صنع عمر فخذوا برأيه.

وقال أبو عثمان النهدي: إنما كان عمر ميزانًا، لا يقول كذا ولا يقول كذا.

وهذه الآثار وأضعافها مذكورة بالأسانيد الثابتة في الكتب المصنفة في هذا الباب، ليس من أحاديث الكذابين، والكتب الموجودة فيها هذه الآثار المذكورة بالأسانيد الثابتة كثيرة جدًّا، روى عن النبي ﷺ من حديث ابن عمر وابن عباس وغيرهما أنه قال: «**اللَّهم أعز الإسلام بأبي جهل بن هشام أو بعمر بن الخطاب**» قال فغدا عمر على رسول الله ﷺ، فأسلم يومئذ. وفي لفظ: «**أعزّ الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك**» وروى النضر عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما أسلم عمر قال المشركون: قد انتصف القوم منا. وروى أحمد بن منيع: حدثنا ابن عليه حدثنا أيوب عن أبي معشر عن إبراهيم قال: قال ابن مسعود: كان عمر حائطًا حصينًا على الإسلام، يدخل الناس فيه ولا يخرجون منه، فلما قُتل عمر انثلم الحائط، فالناس اليوم يخرجون منه.

وعـن أم أيمـن رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، قالـت: وَهَـى الإسـلام يـوم مات عمر.

وعن القاسم بن محمد: كانت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا تقول: من رأى عمر بن الخطاب؛ علم أنه خلق غناء للإسلام، كان والله أحوذيًّا نسيج وحده، قد أعد للأمور أقرانها.

وقال محمد بن إسحاق في السيرة: أسلم عمر بن الخطاب، وكان رجلا ذا شكيمة، لا يرام ما وراء ظهره، فامتنع به أصحاب رسول الله ﷺ حتى عزّوا. وكان عبد الله بن مسعود يقول: ما كنا نقدر أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر بن الخطاب، فلما أسلم؛ قاتل قريشًا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه.

وقال أبو المعالي الجويني: ما دار الفلك على شكله.

وثبت عن طارق بن شهاب قال: إن كان الرجل ليحدّث عمر بالحديث، فيكذب الكذبة، فيقول: احبس هذه! ثم يحدّثه الحديث فيقول: احبس هذه! فيقول: كل ما حدثتك به حق إلا ما أمرتني أن أحبسه.

وعن ابن عمر أن عمر بن الخطاب بعث جيشًا، وأمّر عليهم رجلًا يُدعى سارية، قال: فبينا عمر يخطب في الناس، فجعل يصيح على المنبر: يا سارية! الجبل. يا سارية! الجبل. قال: فقدم رسول الجيش، فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين! لقينا عدونا فهزمونا، فإذا بصائح: يا سارية! الجبل. يا سارية! الجبل. فأسندنا ظهورنا إلى الجبل؛ فهزمهم الله. فقيل لعمر بن الخطاب: إنك كنت تصيح بذلك على المنبر.

وثبت عن قيس عن طارق بن شهاب، قال: كنا نتحدث أن عمر يتحدث على لسانه ملك. وعن مجاهد قال: كان عمر إذا رأى الرأي نزل به القرآن.

وعن حماد بن زيد قال: سمعت خالدًا الحذاء يقول: نرى أن الناسخ من قول رسول الله ﷺ؛ ما كان عليه عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٨- فَرَقُ الشيطان منه:

كان الشيطان يفرق منه، وعن مجاهد قال: كنا نتحدث

أن الشياطين كانت مصفدة في إمارة عمر، فلما قتل عمر وَثَبَتْ.

واستأذن عمر على رسول الله ﷺ، وعنده نساء من قريش يكلمنه، ويستكثرنه، عالية أصواتهن، فلما استأذن عمر؛ قمن فابتدرن الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: **«عجبت من هؤلاء اللاتي كُنَّ عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب»** فقال عمر: قلت: يا رسول الله! أنت أحق أن يهبن. ثم قال عمر: أي عدوات أنفسهن تهبنني، ولا تهبن رسول الله ﷺ! قلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ. قال رسول الله: **«والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكًا فجًّا؛ إلا سلك فجًّا غير فجك»** متفق عليه، وفي حديث آخر: **«إن الشيطان يفر من حسّ عمر»** رواه الطبراني والديلمي عن أنس.

٩- وصاياه النافعةُ المقتبسةُ من مشكاة النبوّة:

له وصايا حسنة نافعة، فعن يحيى بن جعدة قال: قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لولا ثلاث لأحببت أن أكون قد لحقت بالله؛ لولا أن أسير في سبيلي الله، أو أضع جبهتي في التراب ساجدًا، أو أجالس قومًا يلتقطون طيب الكلام كما يلتقط طيب الثمر.

وكلام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أجمع الكلام وأكمله، فإنه ملهم مُحَدَّث، كل كلمة من كلامه تجمع علمًا كثيرًا، مثل هؤلاء الثلاث التي ذكرهن، فإنه ذكر الصلاة والجهاد والعلم، وهذه الثلاث هي أفضل الأعمال بإجماع الأمة.

وقال ابن عباس: قال لي عمر: إنه والله يا ابن عباس ما يصلح لهذا الأمر إلا القوي في غير عنف، اللين في غير ضعف، الجواد في غير سرف، الممسك في غير بخل. قال يقول ابن عباس: فوالله ما أعرفه غير عمر.

وعن سالم عن أبيه: أنه كان إذا ذكر عمر قال: لله در عمر، لقل ما سمعته يقول يحرك شفتيه بشيء قط يتخوّفه؛ إلا كان حقًّا.

١٠- إنصافه الحقّ من نفسه، ووقوفه عنده، ورجوعه له:

كان يرجع إلى الحق متى علمه، وقصة رد المرأة عليه دليل على كمال فضله ودينه وتقواه، ورجوعه إلى الحق إذا تبين له، وأنه يقبل الحق حتى من امرأة، ويتواضع له، وأنه معترف بفضل الواحد عليه، ولو في أدنى مسألة، وليس من شرط الأفضل أن لا ينبهه المفضول لأمر من الأمور، فقد قال الهدهد لسليمان: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢] وقد قال موسى للخضر: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦] والفرق بين موسى والخضر أعظم من الفرق بين عمر وبين أشباهه من الصحابة، ولم يكن هذا بالذي أوجب أن يكون الخضر قريبًا من موسى، فضلًا عن أن يكون مثله، بل الأنبياء المتبعون لموسى كهارون ويوشع وداود وسليمان وغيرهم، أفضل من الخضر.

وفي الجملة؛ عمر لو نفذ اجتهاده لم يكن أضعف من كثير من اجتهاد غيره الذي أنفذه، وكيف لم ينفذه وقوله

تعالى: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ [النساء: ٢٠] يتأول كثير من الناس ما هو أصرح منها، بأن يقولوا: هذا قيل: للمبالغة، كما قالوا: في قول رسول الله ﷺ المخرج في الصحيحين: «**التمس ولو خاتمًا من حديد**»: أنه قاله على سبيل المبالغة، فإذا كان المقدرون لأدناه يتأولون مثل هذا؛ جاز أن يكون المقدر لأعلاه يتأول مثل هذا، إلى غير ذلك، وعمر مع هذا لم يصر على ذلك، بل رجع إلى الحق. فعُلم أن تأييد الله له وهدايته إياه أعظم من تأييده لغيره وهدايته إياه. وأن أقواله الضعيفة التي رجع عنها ولم يصر عليها خير من أقوال غيره الضعيفة التي لم يرجع عنها.

وبالجملة؛ فهذا باب يطول وصفه، وعمر أكمل الصحابة بعد أبي بكر، والصحابة أعلم الأمة وأفقهها وأدينها، ولهذا أحسن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله: هم فوقنا في كل علم وفقه ودين وهدى، وفي كل سبب ينال به علم وهدى، ورأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا، أو كلاما هذا معناه.

وقال أحمد بن حنبل: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ.

وما أحسن قول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال: أيها الناس من كان منكم مستنًّا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد، كانوا أفضل هذه الأمة، أبرّها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلّها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم.

وقال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا معشر القراء! استقيموا، وخذوا طريق من كان قبلكم، فوالله لئن استقمتم؛ لقد سبقتم سبقا بعيدًا، وإن أخذتم يمينا وشمالًا؛ لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا.

ومعلوم أن رأي المحدَّث الملهم، أفضل من رأي من ليس كذلك، وليس فوقه إلا النص، الذي هو حال الصديق المتلقى من الرسول، ونحن نسلم أن الصديق

أفضل من عمر، لكن عمر أفضل من سائرهم. وقال عبد الله بن عمر: ما سمعت عمر يقول لشيء: إني لأراه كذا وكذا؛ إلا كان كما يقول.

فالنصوص والإجماع والاعتبار؛ يدل على أن رأي عمر أولى بالصواب من رأي عثمان وعلي وطلحة والزبير وغيرهم من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ. ولهذا كانت آثار رأيه محمودة، فيها صلاح الدين والدنيا، فهو الذي فتح بلاد فارس والروم، وأعزّ الله به الإسلام، وأذل به الكفر والنفاق، وهو الذي وضع الديوان، وفرض العطاء، وألزم أهل الذمة بالصغار والغيار، وقمع الفجار، وقوّم العمال، وكان الإسلام في زمنه أعزّ ما كان.

١١- حُجِّيَةُ فتواه:

كان عمر وأبو بكر أكمل الأمة بعد نبيها صلوات الله وسلامه عليه، وفي السنن عنه ﷺ أنه قال: «**اقتدوا باللَّذَيْنِ من بعدي؛ أبي بكر وعمر**» ولهذا كان أحد قولي العلماء ـ وهو إحدى الروايتين عن أحمد ـ: أن قولهما إذا اتفقا حجة

لا يجوز العدول عنها، وهذا أظهر القولين، كما أن الأظهر أن اتفاق الخلفاء الأربعة أيضًا حجة، لا يجوز خلافها لأمر النبي ﷺ باتباع سنتهم.

وكان نبينا ﷺ مبعوثًا بأعدل الأمور وأكملها، فهو الضحوك القتال، وهو نبي الرحمة ونبي الملحمة، بل أمته موصوفون بذلك في مثل قوله تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] وقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] فكان النبي ﷺ يجمع بين شدة هذا ولين هذا، فيأمر بما هو العدل، وهما يطيعانه، فتكون أفعالهما على كمال الاستقامة، فلما قبض الله نبيه وصار كل منهما خليفة على المسلمين خلافة نبوة؛ كان من كمال أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن يولّي الشديد، ويستعين به، ليعتدل أمره، ويخلط الشدة باللين، فإن مجرد اللين يفسد، ومجرد الشدة تفسد، ويكون قد قام مقام النبي ﷺ، فكان يستعين باستشارة عمر، وباستنابة خالد ونحو ذلك. وهذا من

كماله الذي صار به خليفة رسول الله ﷺ، ولهذا اشتد في قتال أهل الردة شدة برز بها على عمر وغيره، حتى روى أن عمر قال له: يا خليفة رسول الله ﷺ! تألّف الناس. فقال: علام أتألفهم؟ أعلى حديث مفترى؟ أم على شعر مفتعل؟ وقال أنس: خطبنا أبو بكر عقيب وفاة النبي ﷺ وإنا لكالثعالب، فما زال يشجعنا حتى صرنا كالأسود.

وأما عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فكان شديدًا في نفسه، فكان من كماله استعانته باللين ليعتدل أمره، فكان يستعين بأبي عبيدة بن الجراح، وسعد ابن أبي وقاص، وأبي عبيد الثقفي، والنعمان بن مقرن، وسعيد بن عامر، وأمثال هؤلاء من أهل الصلاح والزهد.

ومن هذا الباب أمر الشورى، فإن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان كثير المشاورة للصحابة فيما لم يتبين فيه أمر الله ورسوله، فإن الشارع نصوصه كلمات جوامع، وقضايا كلية، وقواعد عامة يمتنع أن يعين واحدًا منهم، ويكون غيره أصلح لهم، وفي أمر الشورى فإنه ظهر له رجحان الستة دون

رجحان التعيين، وقال الأمر في التعيين إلى الستة يعينون واحدًا منهم. وهذا أحسن اجتهاد إمام عالم عادل ناصح، لا هوى له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأيضا فقد قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨] وقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فكان ما فعله من الشورى مصلحة، وكان ما فعله أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من تعيين عمر هو المصلحة أيضًا، فإن أبا بكر تبيّن له من كمال عمر وفضله واستحقاقه للأمر ما لم يحتج معه إلى الشورى، وظهر أثر هذا الرأي المبارك الميمون على المسلمين، فإن كل عاقل منصف يعلم أن عثمان أو عليًّا أو طلحة أو الزبير أو سعدًا أو عبد الرحمن بن عوف؛ لا يقوم مقام عمر، فكان تعيين عمر في الاستحقاق كتعيين أبي بكر في مبايعتهم له، ولهذا قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أفرس الناس ثلاثة؛ بنت صاحب مدين حيث قالت: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦] وامرأة العزيز حيث قالت: ﴿عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [القصص: ٩] وأبو بكر حيث استخلف عمر.

وعن أبي معاوية قال: لما كان يوم بدر، قال رسول الله ﷺ: «**ما تقولون في هؤلاء الأسارى؟**» فقال أبو بكر: يا رسول الله! قومك وأهلك، استبقهم واستأن بهم، لعل الله يتوب عليهم. وقال عمر: يا رسول الله! كذبوك وأخرجوك، قربهم واضرب أعناقهم،.. فذكر الحديث قال: فدخل رسول الله ﷺ ولم يرد عليهم شيئًا، قال: فخرج رسول الله ﷺ فقال: «**إن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم، قال:** ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [إبراهيم: ٣٦] **وإن مثلك يا أبا بكر كمثل عيسى، قال:** ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، **وإن مثلك يا عمر كمثل نوح، قال:** ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، **وإن مثلك يا عمر كمثل موسى، قال:** ﴿وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]» رواه الترمذي والحاكم.

وعن إسماعيل بن أمية قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «**لولا أنكما تختلفان عليّ ما خالفتكما**». وكان السلف متفقين على تقديمهما حتى شيعة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فعن حدير قال قدم أبو إسحاق السبيعي الكوفة، قال لنا شمر بن عطية: قوموا إليه، فجلسنا إليه، فتحدثوا، فقال أبو إسحاق: خرجت من الكوفة وليس أحد يشك في فضل أبي بكر وعمر وتقديمهما، وقدمت الآن وهم يقولون ويقولون! ولا والله ما أدرى ما يقولون!

وعن سعيد بن حسن قال: سمعت ليث بن أبي سليم يقول: أدركت الشيعة الأولى، وما يفضلون على أبي بكر وعمر أحدًا.

وعن مسروق قال: حُبُّ أبي بكر وعمر، ومعرفة فضلهما من السنة. ومسروق من أجلّ تابعي الكوفة. وكذلك قال طاووس: حبّ أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة، وقد روي ذلك عن ابن مسعود.

وكيف لا تقدم الشيعة الأولى أبا بكر وعمر، وقد تواتر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر؟ وقد روي هذا عنه من طرق كثيرة، قيل إنها تبلغ ثمانين طريقًا.

وقد رواه البخاري عنه في صحيحه، من حديث الهمدانيين الذين هم أخصّ الناس بعلي حتى كان يقول:

ولو كنت بوابًا على باب جنة   لقلت لهمدان أدخلي بسلام

وقد رواه البخاري من حديث سفيان الثوري ـ وهو همداني ـ عن منذر ـ وهو همداني ـ عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: يا أبت! من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ فقال: يا بني أو ما تعرف؟ فقلت: لا، قال: أبو بكر. فقلت: ثم من؟ قال: عمر. وهذا يقوله لابنه، بينه وبينه، ليس هو مما يجوز أن يقوله تقية، ويرويه عن أبيه خاصة.

وقال على المنبر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر؛ إلا جلدته جلد المفتري.

وقال الشافعي: لم يختلف الصحابة والتابعون في تقديم أبي بكر وعمر.

وقال شريك بن عبد الله بن أبي نمر، وقال له قائل: أيما أفضل أبو بكر أو علي؟ فقال له: أبو بكر. فقال له السائل: أتقول هذا وأنت من الشيعة؟ فقال: نعم، إنما الشيعي من يقول هذا، والله لقد رقى عليّ هذه الأعواد فقال: ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر. أَفَكُنّا نردّ قوله؟ أفكنّا نكذبه؟ والله ما كان كذابًا.

وكان أبو بكر وعمر أفضل سيرة وأشرف سريرة من عثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، فلهذا كانا أبعد عن الملام، وأولى بالثناء العام، حتى لم يقع في زمنهما شيء من الفتن، فلم يكن للخوارج في زمنهما لا قول مأثور، ولا سيف مشهور، بل كانت كل سيوف المسلمين مسلولة على الكفار، وأهل الإيمان في إقبال، وأهل الكفر في إدبار. وأيضًا فأبو بكر وعمر لم ينهزما قط، وما ينقله بعض الكذابين من انهزامهما يوم حنين فهو من الكذب المفترى.

وظهور فضائل شيخي الإسلام أبي بكر وعمر أظهر بكثير عند كلّ عاقل من فضل غيرهما، فيريد هؤلاء الرافضة قلب الحقائق، ولهم نصيب من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ [الزمر: ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ١٧] فإن القوم من أعظم الفرق تكذيبًا بالحق، وتصديقًا بالكذب، وليس في الأمة من يماثلهم في ذلك.

وقال معاوية لابن عباس: أنت على ملة علي؟ فقال: لا على ملة علي، ولا على ملة عثمان، أنا على ملة رسول الله ﷺ.

وكانت الشيعة أصحاب علي يقدمون عليه أبا بكر وعمر، وإنما كان النزاع في تقدمه على عثمان، ولم يكن حينئذ يُسمى أحد لا إماميًّا ولا رافضيًّا، وإنما سموا رافضة وصاروا رافضة؛ لما خرج زيد بن علي بن الحسين بالكوفة، في خلافة هشام، فسألته الشيعة عن أبي بكر وعمر فترحم

عليهما، فرفضه قوم، فقال: رفضتموني، رفضتموني، فسموا رافضة، وتولاه قوم زيدية، لانتسابهم إليه، ومن حينئذ انقسمت الشيعة إلى رافضة إمامية وزيدية، وكلما زادوا في البدعة زادوا في الشر، فالزيدية خير من الرافضة وأعلم وأصدق وأزهد وأشجع.

١٢- إجماع الأمة على فضله وجلالة قدره:

ما يتمارى في كمال سيرة عمر وعلمه وعدله وفضله من له أدنى مسكة من عقل وإنصاف، ولا يطعن على أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلا أحد رجلين: إما رجل منافق زنديق ملحد عدو للإسلام يتوصل بالطعن فيهما إلى الطعن في الرسول ودين الإسلام، وهذا حال المعلم الأول للرافضة أول من ابتدع الرفض، وحال أئمة الباطنية. وإما جاهل مفرط في الجهل والهوى، وهو الغالب على عامة الشيعة إذا كانوا مسلمين في الباطن، ولكن هؤلاء القوم لفرط جهلهم وهواهم يقلبون الحقائق في المنقول والمعقول، فيأتون إلى الأمور التي وقعت، وعُلم أنها وقعت فيقولون: ما وقعت!

وإلى أمور ما كانت، ويُعلم أنها ما كانت، فيقولون: كانت! ويأتون إلى الأمور التي هي خير وصلاح، فيقولون: هي فساد! وإلى الأمور التي هي فساد، فيقولون: هي خير وصلاح! فليس لهم لا عقل ولا نقل، بل لهم نصيب من قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

❁❁❁❁❁

عن الرّافضة والباطنيّة

وإلى شيء من أمور الرافضة كما حكاها تقي الدين ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في منهاج السنة:

ودع عنك دين الرفض والبدع التي
يقــودك داعيهــا إلى النــار والعــار
وسر خلف أصحاب الرسول فإنهم
نجوم هدى في ضوئها يهتدي الساري
وعج عن طريق الرفض فهو مؤسس
على الكفر تأسيسًا على جرف منهار

١- أصل دينهم:

أصل مذهبهم من إحداث الزنادقة المنافقين، الذين عاقبهم في حياته علي أمير المؤمنين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فحرق منهم طائفة بالنار، وطلب قتل بعضهم ففروا من سيفه البتار، وتوعد بالجلد طائفة مفترية فيما عرف عنه من الأخبار. وأصل الرفض إنما أحدثه زنديق، غرضه إبطال دين الإسلام.

وقال الشعبي: أحذركم هذه الأهواء المضلة، وشرها الرافضة، لم يدخلوا في الإسلام رغبة ولا رهبة، ولكن مقتًا لأهل الإسلام، وبغيًا عليهم، قد حرقهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالنار، ونفاهم إلى البلدان، منهم عبد الله ابن سبأ يهودي من يهود صنعاء، نفاه إلى ساباط.

إن الملاحدة من الباطنية الإسماعيلية وغيرهم، والغلاة النصيرية وغير النصيرية، إنما يظهرون التشيع، وهم في الباطن أكفر من اليهود والنصارى، فدل ذلك على أن التشيع دهليز الكفر والنفاق.

٢- خبث معتقدهم:

وأما الرافضة كهذا المصنف وأمثاله ـ أي ابن المطهر الحلّي ـ من متأخري الإمامية، قد جمعوا أخسّ المذاهب؛ مذهب الجهمية في الصفات، ومذهب القدرية في أفعال العباد، ومذهب الرافضة في الإمامة والتفضيل.

ومن أعظم خبث القلوب؛ أن يكون في قلب العبد غلّ لخيار المؤمنين وسادات أولياء الله بعد النبيين.

ولهذا لم يجعل الله تعالى في الفيء نصيبًا لمن بعدهم إلا الذين يقولون: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠].

ولا ريب أن هؤلاء الرافضة خارجون من الأصناف الثلاثة، فإنهم لم يستغفروا للسابقين الأولين، وفي قلوبهم غلّ عليهم، ففي الآيات الثناء على الصحابة وعلى أهل السنة الذين يتولونهم، وإخراج الرافضة من ذلك.

وهؤلاء الرافضة يرمون أزواج الأنبياء عائشة وامرأة نوح بالفاحشة، فيؤذون نبينا ﷺ وغيره من الأنبياء من الأذى بما هو من جنس أذى المنافقين المكذبين للرسل.

لو كان الحق كما تقوله الرافضة؛ لكان أبو بكر وعمر والسابقون الأولون من شرار أهل الأرض وأعظمهم جهلًا وظلمًا، حيث عمدوا عقب موت نبيهم ﷺ، فبدلوا وغيروا وظلموا الوصي، وفعلوا بنبوة محمد ﷺ ما لم تفعله

اليهود والنصارى عقب موت موسى والمسيح عليهما الصلاة والسلام، فإن اليهود والنصارى لم يفعلوا عقب موت أنبيائهم ما تقوله الرافضة: إن هؤلاء فعلوه عقب موت النبي ﷺ. وعلى قولهم تكون هذه الأمة شر أمة أخرجت للناس، ويكون سابقوها شرارها. وكلّ هذا مما يعلم بالاضطرار فساده من دين الإسلام، وهو مما يبين أن الذي ابتدع مذهب الرافضة كان زنديقًا ملحدًا عدوًّا لدين الإسلام وأهله، ولم يكن من أهل البدع المتأولين كالخوارج والقدرية، وإن كان قول الرافضة راج بعد ذلك على قوم فيهم إيمان لفرط جهلهم.

٣- نفاقهم:

ليس المنافقون في طائفة أكثر منهم في الرافضة، حتى إنه ليس في الروافض إلا من فيه شعبة من شعب النفاق.

٤- كذبهم:

والقوم من أكذب الناس في النقليات، ومن أجهل الناس في العقليات، يصدقون من المنقول بما يعلم العلماء

بالاضطرار أنه من الأباطيل، ويكذبون بالمعلوم من الاضطرار المتواتر أعظم تواتر في الأمة جيلًا بعد جيل. ولا يميزون في نقلة العلم ورواة الأحاديث والأخبار بين المعروف بالكذب أو الغلط أو الجهل بما ينقل، وبين العدل الحافظ الضابط المعروف بالعلم بالآثار.

قال الشافعي: لم أر أحدًا أشهد بالزور من الرافضة.

وقال يزيد بن هارون: يكتب عن كل صاحب بدعة إذا لم يكن داعية إلا الرافضة فإنهم يكذبون.

وقال شريك: أحمل العلم عن كل من لقيت إلا الرافضة، فإنهم يضعون الحديث ويتخذونه دينًا، وشريك هذا هو شريك بن عبد الله القاضي، قاضى الكوفة من أقران الثوري وأبي حنيفة، وهو من الشيعة الذي يقول بلسانه: أنا من الشيعة. وهذه شهادته فيهم.

وقال الأعمش: أدركت الناس وما يسمونهم إلا الكذابين. يعني الرافضة.

ومن الرافضة من ينكر كون أبي بكر وعمر مدفونين في الحجرة النبوية، وبعض غلاتهم ينكر أن يكون هو صاحبه الذي كان معه في الغار، وليس هذا من بهتانهم ببعيد، فإن القوم قوم بهت، يجحدون المعلوم ثبوته بالاضطرار، ويدعون ثبوت ما يعلم انتفاؤه بالاضطرار في العقليات والنقليات.

والرافضة إن شهدوا شهدوا بما لا يعلمون، أو شهدوا بالزور الذي يعلمون أنه كذب، فهم كما قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد كذبوا على جعفر الصادق أكثر مما كذب على من قبله، فالآفة وقعت من الكذابين عليه لا منه. ولهذا نُسب إليه أنواع من الأكاذيب؛ مثل كتاب البطاقة، والجفر، والهفت، والكلام في النجوم، وفي تقدمة المعرفة من جهة الرعود والبروق، واختلاج الأعضاء، وغير ذلك حتى نقل عنه أبو عبد الرحمن في حقائق التفسير من الأكاذيب ما نزه الله جعفرًا عنه، وحتى إن كل من أراد أن ينفق أكاذيبه؛ نسبها إلى جعفر، حتى إن طائفة من الناس يظنون أن

رسائل إخوان الصفا مأخوذه عنه، وهذا من الكذب المعلوم، فإن جعفرًا توفي سنة ثمان وأربعين ومائة، وهذه الرسائل وضعت بعد ذلك بنحو مائتي سنة، وضعت لما ظهرت دولة الإسماعيلية الباطنية، الذين بنوا القاهرة المعزية سنة بضع وخمسين وثلاثمائة، وفي تلك الأوقات صنفت هذه الرسائل بسبب ظهور هذا المذهب الذي ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض، فأظهروا اتباع الشريعة، وأن لها باطنًا مخالفًا لظاهرها، وباطن أمرهم مذهب الفلاسفة. وعلى هذا الأمر وضعت هذه الرسائل، وضعها طائفة من المتفلسفة معروفون، وقد ذكروا في أثنائها ما استولى عليه النصارى من أرض الشام، وكان أول ذلك بعد ثلاثمئة سنة من الهجرة النبوية، في أوائل المائة الرابعة.

٥- خيانتهم:

المنافقون من بابهم دخلوا، وأعداء المسلمين من المشركين وأهل الكتاب بطريقهم وصلوا، واستولوا بهم

على بلاد الإسلام، وسبوا الحريم، وأخذوا الأموال، وسفكوا الدم الحرام، وجرى على الأمة بمعاونتهم من فساد الدين والدنيا ما لا يعلمه إلا رب العالمين. كما قد جربه الناس منهم غير مرة، في مثل إعانتهم للمشركين من الترك وغيرهم على أهل الإسلام بخراسان والعراق والجزيرة والشام وغيرها، فقد عرف من موالاتهم لليهود والنصارى والمشركين ومعاونتهم على قتال المسلمين ما يعرفه الخاص والعام، حتى قيل: إنه ما اقتتل يهودي ومسلم، ولا نصراني ومسلم، ولا مشرك ومسلم؛ إلا كان الرافضي مع اليهودي والنصراني والمشرك.

وهم يستعينون بالكفار على المسلمين، فقد رأينا ورأى المسلمون أنه إذا ابتلي المسلمون بعدو كافر كانوا معه على المسلمين، كما جرى لجنكزخان ملك التتر الكفار، فإن الرافضة أعانته على المسلمين. وأما إعانتهم لهولاكو ابن ابنه لما جاء إلى خراسان والعراق والشام؛ فهذا أظهر وأشهر من أن يخفى على أحد، فكانوا بالعراق وخراسان

من أعظم أنصاره ظاهرًا وباطنًا، وكان وزير الخليفة ببغداد الذي يقال له: ابن العلقمي منهم، فلم يزل يمكر بالخليفة والمسلمين، ويسعى في قطع أرزاق عسكر المسلمين لإضعافهم، وينهى العامة عن قتالهم، ويكيد أنواعًا من الكيد، حتى دخلوا فقتلوا من المسلمين ما يقال: إنه بضعة عشر ألف ألف إنسان أوأكثر أو أقل، ولم يُر في الإسلام ملحمة مثل ملحمة الترك الكفار المسمَّين بالتتر، وقتلوا الهاشميين، وسبوا نساءهم من العباسيين وغير العباسيين. فهل يكون مواليا لآل رسول الله ﷺ من يسلط الكفار على قتلهم وسبيهم وعلى سائر المسلمين؟!

٦- حماقتهم:

من حماقتهم؛ أنهم يأتون من أماكن بعيدة عن المشهد الذي بنوه لمنتظرهم، إما في العشر الأواخر من شهر رمضان، وإما في غير ذلك، ويتوجهون إلى المشرق، وينادونه بأصوات عالية يطلبون خروجه. ومن المعلوم أنه لو كان موجودًا وقد أمره الله بالخروج فإنه يخرج، سواءً نادوه أو لم ينادوه، وإن لم

يؤذن له فهو لا يقبل منهم، وأنه إذا خرج فإن الله يؤيده ويأتيه بما يركبه وبمن يعينه وينصره، ولا يحتاج إلى أن يوقف له دائمًا من الآدميين ممن ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا. والله سبحانه قد عاب في كتابه من يدعو من لا يستجيب له دعاءه، فقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤] هذا مع أن الأصنام موجودة، وكان يكون فيها أحيانًا شياطين تتراءى لهم وتخاطبهم، ومن خاطب معدومًا لم يُخلق كانت حالته أسوأ من حال من خاطب موجودًا وإن كان جمادًا.

وأما سائر حماقاتهم فكثيرة جدًّا؛ مثل كون بعضهم لا يشرب من نهر حفره يزيد، مع أن النبي ﷺ والذين معه كانوا يشربون من آبار وأنهار حفرها الكفار. وبعضهم لا يأكل من التوت الشامي، ومعلوم أن النبي ﷺ ومن معه

كانوا يأكلون مما يجلب من بلاد الكفار من الجبن، ويلبسون ما تنسجه الكفار، بل غالب ثيابهم كانت من نسج الكفار. ومثل كونهم يكرهون التكلم بلفظ العشرة، أو فعل شيء يكون عشرة، حتى في البناء لا يبنون على عشرة أعمدة، ولا بعشرة جذوع ونحو ذلك. ومن تعصبهم أنهم لا يذكرون اسم العشرة بل يقولون: تسعة وواحد.

وفيهم من حرم لحم الجمل، لأن عائشة ركبته يوم الجمل. ومن تعصبهم؛ أنهم إذا وجدوا مسمى بعلي أو جعفر أو الحسن أو الحسين؛ بادروا إلى إكرامه، مع أنه قد يكون فاسقًا، وقد يكون في الباطن سنيًّا، فإن أهل السنة يسمّون بهذه الأسماء، كل هذا من التعصب والجهل.

وقد حدثني الثقة؛ أنه كان لرجل منهم كلب، فدعاه آخر منهم ببكر، فقال صاحب الكلب: أتسمي كلبي بأسماء أصحاب النار؟! فاقتتلا على ذلك، حتى جرى بينهما دم، فهل يكون أجهل من هؤلاء؟!

ومن فرط جهلهم وتعصبهم؛ أنهم يعمدون إلى يوم أحب الله صيامه، فيرون فطره، كيوم عاشوراء. وقد ثبت في الصحيح عن أبي موسى قال: دخل النبي ﷺ المدينة، وإذا ناس من اليهود يعظمون عاشوراء ويصومونه، فقال النبي ﷺ: «**نحن أحق بصومه**» وأمر بصومه. أخرجه البخاري.

ومن أخبَرِ الناس بهم الشعبي وأمثاله من علماء الكوفة، وعن عبد الرحمن بن مالك بن مغول عن أبيه قال: قلت لعامر الشعبي: ما ردك عن هؤلاء القوم، وقد كنت فيهم رأسًا؟ قال: رأيتهم يأخذون بأعجاز لا صدور لها. ثم قال لي: يا مالك! لو أردتُ أن يعطوني رقابهم عبيدًا، أو يملئوا لي بيتي ذهبًا، أو يحجوا إلى بيتي هذا؛ على أن أكذب على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لفعلوا. ولا والله لا أكذب عليه أبدًا، يا مالك! إني قد درست الأهواء، فلم أر فيها أحمق من الخشبية، فلو كانوا من الطير لكانوا رخمًا، ولو كانوا من الدواب لكانوا حمرًا. يا مالك! لم يدخلوا في الإسلام رغبة

فيه لله، ولا رهبة من الله، ولكن مقتًا من الله عليهم، وبغيًا منهم على أهل الإسلام.

والرافضة من المطففين، يرى أحدهم القذاة في عيون أهل السنة، ولا يرى الجذع المعترض في عينه.

وأهل السنة اتبعوا عليًّا وغيره من الخلفاء الراشدين فيما رووه عن النبي ﷺ في تحريم المتعة، والرافضه خالفوه.

ومن الطرق الحسنة في مناظرتهم؛ أن يورد عليهم من جنس ما يوردونه على أهل الحق، وما هو أغلظ منه، فإن المعارضة نافعة. وحينئذ؛ فإن فَهِمَوا الجواب الصحيح؛ عَلِمَوا الجواب عما يوردونه على الحق، وإن وقعوا في الحيرة، والعجز عن الجواب؛ اندفع شرهم بذلك، وقيل لهم: جوابكم عن هذا، هو جوابنا عن هذا.

٧- جبنهم وهزيمتهم:

السيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، ودعوتهم مدحوضة، ورايتهم مهزومة، وأمرهم متشتت، كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله، ويسعون في الأرض فسادًا، والله

لا يحب المفسدين.

والشيعة دائما مغلوبون مقهورون منهزمون، وحبهم للدنيا وحرصهم عليها ظاهر، ولهذا كاتبوا الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلما أرسل إليهم ابن عمه، ثم قدم بنفسه غدروا به، وباعوا الآخرة بالدنيا، وأسلموه إلى عدوه، وقاتلوه مع عدوه، فأي زهد عند هؤلاء؟! وأي جهاد عندهم؟!

٨- جهلهم:

والله يعلم أني مع كثرة بحثي وتطلعي إلى معرفة أقوال الناس ومذاهبهم؛ ما علمت رجلًا له في الأمة لسان صدق، يُتهم بمذهب الإمامية، فضلا عن أن يقال: إنه يعتقده في الباطن.

لو قيل: من أجهل الناس؟ لقيل: الرافضة. حتى فرضها بعض الفقهاء مسألة فقهية فيما إذا أوصى لأجهل الناس، قال: هم الرافضة، لكن هذه الوصية باطلة، لأن الوصية والوقف لا يكونان على جهة معصية، بل على جهة لا تكون مذمومة في الشرع. والوقف والوصية لأجهل

الناس؛ فيه جعل الأجهلية والبدعية موجبة للاستحقاق، فهو كما لو أوصى لأكفر الناس، أو للكفار دون المسلمين، بحيث يجعل الكفر شرطًا في الاستحقاق، فإن هذا لا يصح.

وهؤلاء الرافضة من أجهل الناس، يذكرون فيمن يوالونه من أخبار المدح، وفيمن يعادونه من أخبار الذم، ما هو بالعكس أولى، فلا تجدهم يذمون أبا بكر وأمثاله بأمر؛ إلا ولو كان ذلك الأمر ذمًّا لكان علي أولى بذلك، ولا يمدحون عليًّا بمدح يستحق أن يكون مدحًا؛ إلا وأبو بكر أولى بذلك، فإنه أكمل في الممادح كلّها، وأبرأ من المذام كلّها، حقيقيها وخياليها.

وهؤلاء القوم في الاستدلال؛ من أضل الناس عن سواء السبيل، فإن الأدلة إما نقلية وإما عقلية. والقوم من أضل الناس في المنقول والمعقول في المذاهب والتقرير، وهم من أشبه الناس بمن قال الله فيهم: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ

أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك: ١٠].

والعلماء دائمًا يذكرون من جهل الرافضة وضلالهم، ما يعلم معه بالاضطرار؛ أنهم يعتقدون أن الرافضة من أجهل الناس وأضلهم، وأبعد طوائف الأمة عن الهدى، كيف ومذهب هؤلاء الإمامية قد جمع عظائم البدع المنكرة؟ فإنهم جهمية قدرية رافضة. وكلام السلف والعلماء في ذم كل صنف من هذه الأصناف لا يحصيه إلا الله، والكتب مشحونة بذلك، ككتب الحديث والآثار والفقه والتفسير والأصول والفروع وغير ذلك، وهؤلاء الثلاثة شر من غيرهم من أهل البدع كالمرجئة والحرورية.

وهذا حال أهل البدع المخالفة للكتاب والسنة، فإنهم؛ إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس، ففيهم جهل وظلم، لا سيما الرافضة، فإنهم أعظم ذوي الأهواء جهلًا وظلمًا، يعادون خيار أولياء الله تعالى من بعد النبيين، من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه، ويوالون الكفار والمنافقين

من اليهود والنصارى والمشركين وأصناف الملحدين، كالنصيرية والإسماعيلية وغيرهم من الضالين، فتجدهم أو كثيرًا منهم إذا اختصم خصمان في ربهم من المؤمنين والكفار، واختلف الناس فيما جاءت به الأنبياء؛ فمنهم من آمن، ومنهم من كفر، سواء كان الاختلاف بقول أو عمل، كالحروب التي بين المسلمين وأهل الكتاب والمشركين؛ تجدهم يعاونون المشركين وأهل الكتاب على المسلمين أهل القرآن.

٩- من موارد التشيّع:

أ- الإمامية والزيدية:

لفظ الرافضة إنما ظهر لما رفضوا زيد بن علي بن الحسين في أوخر خلافة هشام، وقصة زيد بن علي بن الحسين كانت بعد العشرين ومئة. وبهذا وغيره يعرف كذب لفظ الأحاديث المرفوعة التي فيها لفظ الرافضة. ولكن كانوا يسمون بغير ذلك الاسم، كما كانوا يسمون الخشبية، لقولهم: إنا لا نقاتل بالسيف إلا مع إمام معصوم،

فقاتلوا بالخشب. ولهذا جاء في بعض الروايات عن الشعبي، قال: ما رأيت أحمق من الخشبية!

وقال الأشعري: وطائفة سمّوا رافضة؛ لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر. قلت: الصحيح أنهم سموا رافضة لمّا رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، لمّا خرج بالكوفة أيام هشام بن عبد الملك، وقد ذكر هذا أيضا الأشعري وغيره. قالوا: وإنما سمّوا الزيدية لتمسكهم بقول زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكان زيد بويع له بالكوفة في أيام هشام بن عبد الملك، وكان زيد يفضل علي بن أبي طالب على سائر أصحاب النبي ﷺ، ويتولى أبا بكر وعمر، ويرى الخروج على أئمة الجور، فلما ظهر بالكوفة في أصحابه الذين بايعوه، وسمع من بعضهم الطعن على أبي بكر وعمر، فأنكر ذلك على من سمعه منه، فتفرق عنه الذين بايعوه، فقال لهم: رفضتموني؟ قالوا: نعم، فيقال إنهم سمّوا رافضة لقول زيد بن علي لهم رفضتموني.

وقال أبو حاتم البستي: قتل زيد بن علي بن الحسين بالكوفة، سنة اثنتين وعشرين ومئة، وصلب على خشبة، وكان من أفاضل أهل البيت وعلمائهم، وكانت الشيعة تنتحله. قلت: ومن زمن خروج زيد افترقت الشيعة إلى رافضة وزيدية، فإنه لما سئل عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما؛ رفضه قوم، فقال لهم: رفضتموني. فسُمُّوا رافضة لرفضهم إياه، وسُمّي من لم يرفضه من الشيعة زيديًّا لانتسابهم إليه.

والزيدية والإسماعيلية وغيرهم متفقون على إنكار إمامة الاثني عشر.

وقول القائل: إن الرافضة تفعل كذا وكذا، المراد به بعض الرافضة.

ولقد كان الفساد الذي حصل في الأمة بقتل عثمان أعظم من الفساد الذي حصل في الأمة بقتل الحسين، وعثمان من السابقين الأولين، وهو خليفة مظلوم، طُلب منه أن ينعزل بغير حق، فلم ينعزل، ولم يدفع عن نفسه

حتى قتل، والحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لم يكن متوليًّا، وإنما كان طالبًا للولاية حتى رأى أنها متعذرة، وطُلب منه أن يستأسر نفسه ليحمل إلى يزيد مأسورًا، فلم يجب إلى ذلك، وقاتل حتى قتل شهيدًا مظلومًا، فظلم عثمان كان أعظم، وصبره وحلمه كان أكمل، وكلاهما مظلوم شهيد.

ب- الباطنية، ومنهم: القرامطة والعبيدية (الفاطمية!) والإسماعيلية والنّصيرية (العلوية!) والدّروز (الموحّدون!):

القرامطة الباطنية ينسبون قولهم إلي علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وأنه أُعطي علمًا باطنًا، مخالفًا للظاهر. وقد ثبت في الصحيح عنه أنه قال: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما عهد إلى النبي ﷺ شيئًا لم يعهده إلى الناس، إلا ما في هذه الصحيفة، ـ وكان فيها العقل، وفكاك الأسرى، وأن لا يقتل مسلم بكافر ـ إلا فهمًا يؤتيه الله عبدًا في الكتاب.

ومن الناس من ينسب إليه الكلام في الحوادث؛ كالجفر وغيره، وآخرون ينسبون إليه البطاقة وأمورًا أخرى يُعلم أن عليًّا بريء منها.

وأهـل العلـم بالنـسب يعلمـون أن نـسب العبيديـة الباطنيـة الإسماعيلية إلى عليّ باطل، وأن جدّهم يهودي في الباطن وفي الظاهر، وجدهم ديصاني من المجوس، تزوج أمرأة هذا اليهودي، وكان ابنه ربيبًا لمجوسي، فانتسب إلى زوج أمه المجوسي، وكانوا ينتسبون إلى باهلة على أنهم من مواليهم، وادّعى هو أنه من ذرية محمد بن إسماعيل بن جعفر، وإليه انتسب الإسماعيلية، وادعوا أن الحق معهم دون الاثني عشرية. فإن الاثني عشرية يدعون إمامه موسى ابن جعفر، وهؤلاء يدعون إمامه إسماعيل بن جعفر.

وأئمـة هـؤلاء في البـاطن ملاحـدة زنادقـة، شر مـن الغالية، ليسوا من جنس الاثنى عشرية، لكن إنما طُرُقُهم على هذا المذاهب الفاسدة ونسبتها إلى عليّ ما فعلته الاثنا عشرية وأمثالهم، كذب أولئك عليه نوعًا من الكذب، ففرّعه هؤلاء وزادوا عليه، حتى نسبوا الإلحاد إليه، كما نسب هؤلاء إليه مذهب الجهمية والقدرية وغير ذلك.

ولما كان هؤلاء الملاحدة من الإسماعيلية والنصيرية

ونحوهم ينتسبون إلى علي، وهم طرقية وعشرية وغرباء وأمثال هؤلاء، صاروا يضيفون إلى عليّ ما برأه الله منه، حتى صار اللصوص من العشرية يزعمون أن معهم كتابًا من علي بالإذن لهم في سرقة أموال الناس، كما ادعت اليهود الخيابرة أن معهم كتابًا من علي بإسقاط الجزية عنهم.

وقد عرف كل أحد أن الإسماعيلية والنصيرية هم من الطوائف الذين يظهرون التشيع وهم في الباطن كفار منسلخون من كل ملة، والنصيرية هم من غلاة الرافضة الذين يدّعون إلهية عليّ، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى باتفاق المسلمين. والإسماعيلية الباطنية أكفر منهم، فإن حقيقة قولهم التعطيل.

أما أصحاب الناموس الأكبر والبلاغ الأعظم الذي هو آخر المراتب عندهم، فهم من الدهرية القائلين: بأن العالم لا فاعل له لا علة ولا خالق، ويقولون: ليس بيننا وبين الفلاسفة خلاف إلا في واجب الوجود، فإنهم يثبتونه وهو شيء لا حقيقة له، ويستهزئون بأسماء الله عز وجل،

ولا سيّما هذا الاسم الذي هو الله، فإن منهم من يكتبه على أسفل قدميه ويطؤه. وأما من هو دون هؤلاء فيقولون بالسابق والتالي، الذين عبّروا بهما عن العقل والنفس عند الفلاسفة، وعن النور والظلمة عند المجوس، وركّبوا لهم مذهبًا من مذاهب الصابئة والمجوس ظاهرهُ التشيّع.

ولا ريب أن المجوس والصابئة شر من اليهود والنصارى، ولكن تظاهروا بالتشيع، قالوا: لأن الشيعة أسرع الطوائف استجابة لنا، لما فيهم من الخروج عن الشريعة، ولما فيهم من الجهل وتصديق المجهولات.

وقال الناقلون لمقالات الناس: الشيعة ثلاثة أصناف. وإنما قيل لهم: الشيعة؛ لأنهم شايعوا عليًّا وقدّموه على سائر أصحاب رسول الله ﷺ، فمنهم الغالية، سموا بذاك؛ لأنهم غلوا في عليّ، وقالوا فيه قولًا عظيمًا، مثل اعتقادهم إلهيته أو نبوته، وهؤلاء أصناف متعددة، والنصيرية منهم، والصنف الثاني من الشيعة؛ الرافضة.

وصنّف المسلمون في كشف أسرارهم، وهتك

أستارهم، كتبًا معروفة، لما علموه من إفسادهم الدين والدنيا، وصنف فيهم القاضي عبد الجبار، والقاضي أبو بكر بن الطيب، وأبو يعلى، والغزالي، وابن عقيل، وأبو عبد الله الشهرستاني، وطوائف غير هؤلاء.

وهم الملاحدة الذين ظهروا بالمشرق والمغرب واليمن والشام ومواضع متعددة كأصحاب الألموت وأمثالهم.

وكان من أعظم ما دخل به هؤلاء على المسلمين، وأفسدوا الدين؛ هو طريق الشيعة، لفرط جهلهم وأهوائهم، وبعدهم من دين الإسلام. وبهذا أوصوا دعاتهم أن يدخلوا على المسلمين من باب التشيع، وصاروا يستعينون بما عند الشيعة من الأكاذيب والأهواء، ويزيدون هم على ذلك ما ناسبهم من الافتراء، حتى فعلوا في أهل الإيمان ما لم يفعله عبدة الأوثان والصلبان، وكان حقيقة أمرهم دين فرعون الذي هو شر من دين اليهود والنصارى وعباد الأصنام، وأول دعوتهم التشيع، وآخرها الانسلاخ من الإسلام، بل من الملل كلها.

١٠- مقارنتهم بالخوارج:

الرافضة أشد بدعة من الخوارج، وهم يكفّرون من لم تكن الخوارج تكفره كأبي بكر وعمر، ويكذبون على النبي ﷺ والصحابة كذبًا ما كذب أحد مثله، والخوارج لا يكذبون، والخوارج كانوا أصدق وأشجع منهم، وأوفى بالعهد منهم، فكانوا أكثر قتالًا منهم، وهؤلاء أكذب وأجبن وأغدر وأذل.

والرافضة تعجز عن إثبات إيمان علي وعدالته، مع كونهم على مذهب الرافضة، ولا يمكنهم ذلك إلا إذا صاروا من أهل السنة، فإذا قالت لهم الخوارج وغيرهم ممن تكفره أو تفسقه: لا نسلّم أنه كان مؤمنًا بل كان كافرًا أو ظالمًا ـ كما يقولون هم في أبي بكر وعمر ـ لم يكن لهم دليل على إيمانه وعدله إلا وذلك الدليل على إيمان أبي بكر وعمر وعثمان أدلّ. فإن احتجوا بما تواتر من إسلامه وهجرته وجهاده؛ فقد تواتر ذلك عن هؤلاء، بل تواتر إسلام معاوية ويزيد وخلفاء بني أمية وبني العباس وصلاتهم

وصيامهم وجهادهم للكفار، فإن ادعوا في واحد من هؤلاء النفاق أمكن الخارجي أن يدعى النفاق، وإذا ذكروا شبهة ذكر ما هو أعظم منها، وإذا قالوا ما تقوله أهل الفرية: من أن أبا بكر وعمر كانا منافقين في الباطن، عدوين للنبي ﷺ، أفسدا دينه بحسب الإمكان، أمكن الخارجي أن يقول ذلك في علي، ويوجه ذلك بأن يقول: كان يحسد ابن عمه، وأنه كان يريد فساد دينه.

١١- شبههم باليهود والنصارى:

بين الرافضة وبين اليهود من المشابهة في الخبث واتباع الهوى وغير ذلك من أخلاق اليهود، وبينهم وبين النصارى من المشابهة في الغلو والجهل وغير ذلك من أخلاق النصارى، ما أشبهوا به هؤلاء من وجه وهؤلاء من وجه، وما زال الناس يصفونهم بذلك.

يحرّم بعض الرافضة لحم الأوز والجمل مشابهة لليهود، والرافضة يجمعون بين الصلاتين دائمًا، فلا يصلّون إلا في ثلاثة أوقات، مشابهة لليهود، ومثل قولهم: إنه لا يقع

الطلاق إلا بإشهاد على الزوج، مشابهة لليهود، ومثل تنجيسهم لأبدان غيرهم من المسلمين وأهل الكتاب، وتحريمهم لذبائحهم، وتنجيس ما يصيب ذلك من المياه والمائعات، وغسل الآنية التي يأكل منها غيرهم، مشابهة للسامرة الذين هم شر اليهود.

وقالت اليهود: لا يصلح الملك إلا في آل داود، وقالت الرافضة: لا تصلح الإمامة إلا في ولد علي، وقالت اليهود: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال، وينزل سيف من السماء، وقالت الرافضة: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي، وينادي مناد من السماء، واليهود يؤخرون الصلاة إلى اشتباك النجوم، وكذلك الرافضة يؤخرون المغرب إلى اشتباك النجوم، والحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تزال أمتي على الفطرة ما لم يؤخروا المغرب إلى اشتباك النجوم**». واليهود تزول عن القبلة شيئًا، وكذلك الرافضة، واليهود تنود في الصلاة، وكذلك الرافضة، واليهود تسدل أثوابها في الصلاة، وكذلك

الرافضة، واليهود لا يرون على النساء عدة، وكذلك الرافضة، واليهود حرفوا التوراة، وكذلك الرافضة حرفوا القرآن، واليهود قالوا: افترض الله علينا خمسين صلاة، وكذلك الرافضة، واليهود لا يخلصون السلام على المؤمنين، إنما يقولون: السامُّ عليكم، والسامّ: الموت، وكذلك الرافضة، واليهود لا يأكلون الجري والمرماهى ـ من أنواع السمك ـ، وكذلك الرافضة، واليهود لا يرون المسح على الخفين، وكذلك الرافضة، واليهود يستحلون أموال الناس كلهم، وكذلك الرافضة، وقد أخبرنا الله عنهم بذلك في القرآن أنهم قالوا: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥] وكذلك الرافضة، واليهود تسجد على قرونها في الصلاة، وكذلك الرافضة، واليهود لا تسجد حتى تخفق برؤوسها مرارًا شبه الركوع، وكذلك الرافضة، واليهود تبغض جبريل، ويقولون هو عدونا من الملائكة، وكذلك الرافضة، يقولون: غلط جبريل بالوحي على محمد ﷺ، ومثل استعمالهم التقية وإظهار خلاف ما يبطنون من

العداوة مشابهة لليهود ونظائر ذلك كثير.

والرافضة وافقوا النصارى، فليس لنسائهم صداق، إنما يتمتعون بهن تمتعًا، وكذلك الرافضة، يتزوجون بالمتعة، ويستحلون المتعة.

والرافضة فيهم من لعنة الله وعقوبته بالشرك ما يشبهون به أهل الكتاب من بعض الوجوه، فإنه قد ثبت بالنقول المتواترة أن فيهم من يمسخ كما مسخ أولئك.

وفضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين؛ سُئلت اليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وسُئلت النصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواريو عيسى، وسُئلت الرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد ﷺ. أُمروا بالاستغفار لهم، فسبّوهم. فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية، ولا يثبت لهم قدم، ولا تجتمع لهم كلمة، ولا تجاب لهم دعوة.

وأهل السنة مع الرافضة؛ كالمسلمين مع النصارى، فإن المسلمين يؤمنون بأن المسيح عبد الله ورسوله، ولا يغلون

فيه غلو النصارى، ولا يجفون جفاء اليهود، والنصارى تدعي فيه الإلهية، وتريد أن تفضله على محمد وإبراهيم وموسى، بل تفضل الحواريين على هؤلاء الرسل، كما تريد الروافض أن تفضل من قاتل مع علي كمحمد ابن أبي بكر والأشتر النخعي على أبي بكر وعمر وعثمان وجمهور الصحابة من المهاجرين والأنصار، فالمسلم إذا ناظر النصراني لا يمكنه أن يقول في عيسى إلا الحق، لكن إذا أردت أن تعرف جهل النصراني وأنه لا حجة له، فقدر المناظرة بينه وبين اليهودي، فإن النصراني لا يمكنه أن يجيب عن شبهة اليهودي إلا بما يجيب به المسلم، فإن لم يدخل في دين الإسلام وإلا كان منقطعًا مع اليهودي، فإنه إذا أمر بالإيمان بمحمد ﷺ، فإن قدح في نبوته بشيء من الأشياء لم يمكنه أن يقول شيئًا؛ إلا قال له اليهودي في المسيح ما هو أعظم من ذلك. ولهذا كانت الرافضة من أجهل الناس وأضلهم، كما أن النصارى من أجهل الناس، والرافضة من أخبث الناس، كما أن اليهود من أخبث الناس، ففيهم نوع من ضلال النصارى، ونوع من

خبث اليهود.

فقول الرافضة: لن يدخل الجنة إلا من كان إماميًّا، كقول اليهود والنصارى: ﴿لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١ بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١١-١١٢].

والحمد لله أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا على نعمة الإيمان والتوحيد والسنة، ورضي الله عن الشيخين أبي بكر وعمر، وعن آل وصحابة رسول الله ﷺ أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

إبراهيم بن عبد الرحمن الدميجي
٥/ رمضان/ ١٤٣٣
aldumaiji@gmail.com

صفحة بيضاء

فهرس

الموضـــــــــوع	الصفحة